جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 30. العدد. 03. السنة. 2026.
مجلة المعيار
EL MIEYAR

اليهود ودورهم في تنشيط تجارة المغرب الأوسط مابين (7-9هـ/ 13-15م)

The Jews and Their Role in Revitalizing Trade in Central Maghreb (7–9 AH / 13–15 CE)

أ محمد بخيتي [1]
Bekhaiti.mhamed@univ-medea.dz

تاريخ الاستلام: 2026/03/30 تاريخ النشر: 2026/09/15
Received: 30/03/2026 published: 15/09/2026

ملخص المقال: يتناول البحث دور اليهود الاقتصادي في المغرب الأوسط خلال الحقبة الزيانية، هذه المرحلة التي تظهر تنامي النفوذ اليهودي داخل المجتمع الزياني وحتى على مستوى السلطة السياسية، وكان المال والتجارة مما برع فيها اليهود وبسطوا نفوذهم من خلالهما حتى قويت شوكتهم في المغرب الأوسط عامة وتلمسان خاصة، بل امتد نفوذهم إلى جنوب المغرب الأوسط تحديدا إقليم توات أين أقاموا ما يشبه الحاميات التجارية وحتى بناء البيع (دور العبادة اليهودية)، وتكمن إشكالية البحث في النفوذ الاقتصادي لليهود خلال الفترة الزيانية وتأثيراتها ، ويهدف البحث إلى إبراز دور اليهود من الناحية الاقتصادية بالإضافة إلى النفوذ اليهودي خلال فترة البحث، واعتمدت في تقسيم البحث على ثلاث عناصر أساسية وهي: العنصر الأول التواجد اليهودي واستقراره ببلاد المغرب الإسلامي، والعنصر الثاني النشاط التجاري لليهود، وآخر عنصر تحت عنوان المعاملات المالية لليهود. وختمت البحث بمجموعة من النتائج أهمها: مساهمة اليهود الفعالة في تنشيط الحركة التجارية والمالية للمغرب الأوسط، تنشيط التجارة الخارجية من خلال إقامة علاقة تجارية في مدن أوربية، تنامي النفوذ اليهودي وموقف العلماء منهم .

كلمات مفتاحية: اليهود، المغرب الأوسط، الدولة الزيانية، المعاملات الاقتصادية.

Abstract:
This research examines the economic role of Jews in central Maghreb during the Zayyanid rule, a period that saw the growth of Jewish influence within Zayyanid society and in the corridors of power. Economics, finance, and trade were areas in which Jews excelled and through which they extended their influence until they became powerful in central Maghreb in general and in Tlemcen, the capital of the Zayyanids, in particular. Their influence even extended to southern central Maghreb, specifically the region of Tuat, where they established what resembled commercial garrisons. The importance of this research lies in several points, most notably the emergence of Jews as an influential group in society and the highlighting of their economic role, in addition to the influence they attained during the specified period. As for the problem, it revolves around the extent of Jewish penetration into central Maghreb society and their economic role.

Keywords: *central Maghreb;Jews ; The Zayyanid state ; Economic transactions*

(1) جامعة الدكتور يحي فارس المدية (الجزائر).

مقدمة:

انفرد المسلمون بخلاف غيرهم بسياسة التسامح والتعايش وهذا انطلاقا من الشريعة الغرّاء مما فتح الباب واسعا أمام ما عرف عنهم بأهل الذمة وهم أصحاب الملل الأخرى من غير الإسلام، فقد خضع هؤلاء بموجب التشريع الإسلامي إلى دفع الجزية مقابل حفاظهم على معتقدهم وشعائرهم، ولعل أهم طائفة تعايشت مع المسلمين هم اليهود الذين سمح لهم المسلمون على مر العصور وباختلاف الأمكنة بحرية مطلقة في شتى مجالات الحياة وكان لهم دور فعال في المجتمع الإسلامي.

بحث اليهود عن فرص للظهور والتمكن في مختلف ربوع العالم الإسلامي، فكان الغرب الإسلامي إحدى المحطات التي مارس فيها اليهود نشاطهم بكل حرية ومن دون مضايقات، فمن الأندلس إلى المغرب الإسلامي نجد بصمة اليهود الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بارزة، فأينما تواجدوا كان لهم أثر، وهناك تساؤلات تطرح حول تواجدهم بالمغرب الإسلامي والأدوار التي قاموا بها والغاية من تواجدهم في هته الأراضي وانطلاقا من هذا فإن الإشكالية تتمحور حول كيفية وصولهم إلى هذه المناطق وتغلغلهم في المجتمع الزياني ودورهم الاقتصادي؟ وتتخلل هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية حول تاريخ اليهود في بلاد المغرب الإسلامي ، ودورهم الاقتصادي .

ويهدف البحث إلى تسليط الضوء على يهود المغرب الأوسط وتاريخ ظهورهم وكذلك إبراز دور اليهود في بلاد المغرب الأوسط ، كما يهدف البحث إلى تبيين مدى تغلغلهم داخل المجتمع الزياني وامتداد نفوذهم إلى جنوب المغرب الأوسط وتحديدا إقليم توات.

واعتمدت في انجاز هذا البحث على المنهج التاريخي فبعد تحديد الإشكالية عملت على جمع المادة العلمية التي تعالج موضوع اليهود وقراءتها وفق ما يقتضيه هذا المنهج.

وتضمنت الخطة محاور أساسية وأخرى ثانوية يمكن إجمالها فيما يلي: عنونت العنصر الأول بالتواجد اليهودي واستقرارهم في بلاد المغرب. تطرقت في العنصر الثاني إلى النشاط التجاري لليهود. أخيرا المعاملات المالية لليهود .

الاستقرار اليهودي واستقرارهم في بلاد المغرب الإسلامي

اختلفت المصادر في تحديد فترة استقرار اليهود ببلاد المغرب الإسلامي إلا أنها اتفقت في أن هذه الهجرات مرت بمراحل أو عبر العصور التي شهدها المغرب منذ القديم وحتى ظهور الإسلام، وتحكمت في تلك الهجرات عدة عوامل سياسية واقتصادية.

استوطن اليهود بلاد المغرب منذ القدم فهناك من يرجع وجودهم إلى العهد الفينيقي ذو الطابع التجاري، ثم ازدادت أعدادهم في العهد الروماني (فيلالي، 2002، صفحة 193) أين تركزوا في المناطق الساحلية والداخلية رغم ما لاقوه من صنوف الاضطهاد وفرضت عليهم المسيحية واستمر بهم الحال إلى حين دخول الوندال الذين وظفوهم ضد الرومان.

ويعد انتشار الإسلام في بلاد المغرب الإسلامي نقطة تحول بالنسبة لمختلف أطياف المجتمع وبخاصة أهل الذمة الذين شملهم سياسة تسامح المسلمين وعاشوا في كنف الدولة الإسلامية خاضعين لقانون دفع الجزية ولهم حقوقهم الدينية وممارسة طقوسهم من دون مضايقات (سميرة، 2021، صفحة 438) .

ويمكن التركيز أكثر على الهجرات التي وفدت إلى المغرب في العصر الإسلامي حيث أن اليهود هاجروا مرتين، الأولى كانت مع الفتح الإسلامي بسبب معاناة اليهود من تسلط الكاثوليكية فبحثوا عن مكان آمن لهم فكنت وجهتهم المغرب، أما الثانية فكانت بعد سقوط

الأندلس(897هـ/1492م) في أيدي النصارى الذين اضطهدوا اليهود والمسلمين مما دفع بالعديد منهم بالهجرة نحو المغرب الإسلامي أين تمتعوا بحياة أفضل ومارسوا معتقداتهم بحرية وبنو البيع والكنائس (ريه، 1999، الصفحات 30- 31) .

وتواجد صنفين من اليهود في بلاد المغرب، أما الصنف الأول عرفوا باليهود الأهالي أو الأقدمين في البلاد وأطلقوا أنفسهم اسم التوشابيم Tochabim أي اليهود الأهالي الذين مثلوا الأساس الاجتماعي لليهود في بلاد المغرب منذ أقدم العصور، والصنف الثاني يهود الأندلس وهم المطرودين (الميغوراشيم) من الدول المسيحية بعد تراجع حكم المسلمين في إسبانيا وصدور قرارات الطرد الجماعية من طرف ملوك الكاثوليك فاستقروا في مختلف ربوع الدولة الزيانية (حمزة، صفحة 2).

1.2 استقرار اليهود ببلاد المغرب الأوسط:

المعروف عن اليهود أنهم يبحثون دائما عن فائدتهم لذا اختاروا وبعناية كبيرة أماكن استقرارهم ولم تكن مجرد صدفة فركزوا تواجدهم على المدن وبالضبط على المراكز التجارية فكانت عاصمة الزيانيين وقاعدة المغرب الأوسط تلمسان مقصدهم لما لها من مزايا سياسية واقتصادية، فمن الناحية السياسية هي مركز حكم الزيانيين وعاصمة دولتهم ومن الناحية التجارية فهي تقع كهمزة وصل بين مختلف الطرق التجارية مما جعلها قبلة التجار وبخاصة اليهود الذين كونوا رابطا وثيقا مع أعيان تلمسان ونالوا حظوة كبيرة لدى حكام الزيانيين حتى قويت شوكتهم وزاد ثراؤهم، ويذكر ليون الإفريقي بهذا الخصوص أنه وجد قرابة خمسمائة منزل يهودي كلهم أغنياء (الوزان، 1983، صفحة 39)، كما اتخذوا من مدينة تنس مركزا لهم لأنها مدينة إستراتيجية وذات طابع اقتصادي متميز وعلى ساحل البحر المتوسط فاستقروا بها ومارسوا نشاطهم المفضل وهو التجارة (البكري، صفحة 61).

كما استقر اليهود في قلعة بني حماد نظرا للرخاء الاقتصادي التي كانت تعيشه القلعة، ولأن اليهود يبحثون عن مصالحهم فلم يشق عليهم بعد المسافة خاصة عندما نجدهم استقروا في أماكن بعيدة جدا عن مدن الساحل وما تواجدهم في جنوب المغرب الأوسط إلا دليل على ذلك وبالأخص مدينة ورقلة وتسمى ورجلان أو وركلان(أنظر التعليق رقم1) التي تقع على أهم خط تجاري يربط المغرب الإسلامي وبلاد السودان (الحميري، 1984، صفحة 600) .

واتخذ اليهود من منطقة توات(انظر التعليق رقم2) جنوب المغرب الأوسط مكانا لاستقرارهم وبسط نفوذهم التجاري، فكونوا هنالك جالية قوية جدا صار لها نفوذ كبير سيطروا على تجارة المنطقة مستغلين ثرواتهم في ذلك مما أثار غضب العلماء وعلى رأسهم الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي(909هـ) (أنظر التعليق رقم 3) الذي وقف موقفا حازما ضدهم وأصدر فتوى تقضي بهدم بيعهم ودور عبادتهم وإجلائهم وهذا ما عرف عنه تاريخيا بنازلة يهود توات، وقد امتد نفوذهم إلى غاية مدينة كوكو التي تبعد 18فرسخا عن مزغنة والتي تأسست في القرن9هـ/15م وفيها 1600 ساكن من البربر مع أقلية يهودية (بوعمامة، 2011، صفحة 129).

2.2 مكانة اليهود في المغرب الأوسط:

بلا شك أن التجارة مورد أساسي بالنسبة لاقتصاد الدول منذ القدم، وقد أبدى الحكام على مر العصور اهتماما بالغا لما لها من فائدة على مداخيل البلاد، ولابد أن هؤلاء الحكام عملوا على استقطاب كل من له علاقة بهذا القطاع ولأن سياسة التسامح التي انتهجها المسلمون في كل البلاد التي خضعت لهم جذبت عددا كبيرا من التجار من مختلف الملل وخاصة اليهود الذي تنقلوا في أنحاء بلاد المسلمين مستغلين ثراءهم الفاحش وتفوقهم في ميدان التجارة، ويعتبر العهد الزياني(633- 962هـ/ (1235-1554م) أكثر عهد برز فيه اليهود في مختلف مجالات الحياة خاصة التجارة و أحاول في هذا العنصر تبيان دور اليهود التجاري في العهد الزياني وتنفذ اليهود في المجتمع الزياني .

يرجح أن يكون الوجود اليهودي بتلمسان قبل الفتح الإسلامي وتزايد عددهم في العهد الموحدي(515-667هـ / 1121-1269م) بسبب الاضطهاد المسيحي الاسباني لهم خاصة الضغط الذي تعرضوا له على يد القشتاليين والكتالونيين سنة 794هـ/ 1391م مما أدى بطائفة منهم إلى الهجرة إلى تلمسان أين استقروا بها، وتضاعف عددهم بعد سقوط غرناطة 897هـ/1492م، وكان من بينهم العلماء والأطباء مثل الطبيب العالم الرئيسي موشي بن صمويل بن يهودا المالقي الأندلسي، المعروف بابن الأشقر الذي ذاع صيته كطبيب وأستاذ بمدينة تلمسان، كما هاجر التجار والحرفيون وعملوا على تنمية الصناعة التلمسانية وتطويرها ودعم الحركة التجارية ودخلوا في علاقات اقتصادية قوية وصلت حتى مناطق أوربية وعملوا على دعم التجار الصغار بمنحهم قروضا لإدارة مشاريعهم (فيلالي، 2002، صفحة 193).

كما أسلفت فأن اليهود تنعموا بحياة كريمة بفضل التسامح الذي سنه الدين الإسلامي وصارت لهم مكانة رفيعة فكان لهم حق التملك وحرية التصرف في أملاكهم، يبيعون ويشترون الأراضي والمنازل ويشيدون المباني ويملكون الرقيق وأقاموا شعائرهم وطقوسهم في دور العبادة الخاص بهم .

وكان اليهود يقطنون داخل حي مغلق خاص بهم بعيدا عن المسلمين، وكانت لهم مقبرتهم الخاصة ورئيس يدير شؤونهم يطلق عليه شيخ اليهود وهو همزة وصل بينهم وبين السلطات الزيانية (فيلالي، 2002، صفحة 195) .

النشاط التجاري لليهود

تعددت أدوار اليهود في مجتمع الغرب الإسلامي عامة ولم يقتصر وجودهم على نشاط معين فلم يكلوا ولم يملوا بغية تحقيق غاياتهم وربما النقص الذي عاشه اليهود بعدم امتلاكهم موطنا يلجئون إليه جعلهم يعملون على تحقيق غايات أخرى خاصة باكتساب الأموال والسيطرة على النشاط التجاري لاستعمالها كورقة ضغط على السلطات .

تعد التجارة أهم قطاع برز فيه اليهود وفضلوه عن سائر القطاعات المختلفة سواء في المغرب الأوسط أو قطر آخر، فالتجارة بالنسبة لهم ثابت من الثوابت المقدسة ووصفوها على أنها حضارة السوق وعقيدة التاجر، وكان اليهود بنشاطهم التجاري أبرز الفئات الاجتماعية في مجتمع المغرب الأوسط ويظهر ذلك في الوافدين من الأندلس سنة 793هـ/ 1391م إذ ساهموا في تنشيط الحركة التجارة الداخلية والخارجية (كواتي، 1990 - 1991، صفحة 122) .

وهناك عدة أسباب جعلت اليهود يبرزون بصفة خاصة في المجال التجاري أكثر ولكن هذا لا يدل على أن نشاطهم اقتصر على التجارة فحسب بل كان منهم الصناع والحرفيون والمزارعون، غير أن التجارة كانت عصبا حيويا بالنسبة لهم فمن خلاله جمعوا الأموال الطائلة وبها سيطروا على المراكز التجارية وعلى الطرقات وكذلك مارسوا سياسة الضغط من خلالها على السلطات والعامة معا و يمكن أن نلخص أسباب قوتهم التجارية إلى نقاط كثيرة أهمها:

- الشتات والغربة إذ أن اليهود لا يوجد لهم وطن قار يأمنون فيه، فحرصوا على جمع الأموال من أجل أن تضمن لهم البقاء، وكونوا جماعات تجارية في مختلف أنحاء العالم تجمعهم رابطة قوية، كما ظهرت عائلات يمكن وصفها على أنها متعددة الجنسيات لها هوية ثابتة ويصعب تحديد انتمائها الجغرافي وهويتها (الرحمن، 2001، صفحة 99).

- دور سياسة التسامح التي أقرها الإسلام في بروز أهل الذمة عامة واليهود خاصة فالإسلام كفل لهؤلاء حقوقهم الدينية وأباح لهم إبرام العقود والمواثيق التجارية ليشعر اليهودي بحرية في العيش والارتزاق والثراء فيما بعد (عبدالله، 2013، صفحة 99).

– من الأسباب التي جعلت اليهود تجارا أماكن إقامتهم واستقرارهم فهم اتخذوا من المواقع الإستراتيجية مكانا لهم وخاصة المناطق الساحلية المدن الواقعة على الطرق التجارية الكبرى مشكلين بذلك شبكة تجارية لها امتداداتها وفروعها في كل قطر من الأقطار .

– اشتغال اليهود وبروزهم في مجال الصيرفة ومهنة الصياغة وتجارة الذهب والفضة جعلهم يسيطرون على هذا النوع من التجارة بكسبهم لثروة كبيرة وتحصلوا من خلالها على مكانة مرموقة في الدولة الإسلامية.

– تفوقهم اللغوي وإتقانهم لعدة لغات أثر إيجابا وسلبا على مجتمع المغرب الأوسط فهم بمثابة الوسيط في التعاملات الاقتصادية مع الدول الأوربية من خلال عقد معاهدات مع النصارى (سميرة، 2021، صفحة 443) .

1.3 التجارة الداخلية:

عرفت التجارة الداخلية في المغرب الأوسط حضورا يهوديا لافتا خاصة منذ القرن الثالث الهجري حتى الفترة الزيانية وتحكموا في مختلف فروع التجارة كتجارة الأموال والتجزئة والعبيد والذهب والفضة والأسلحة غيرها، ويذكر أنهم هم الأقوى ماليا وسيطروا على التجارة البرية واختاروا أماكن إقامتهم بعناية فائقة ليبقوا قريبين من مناطق التجارة الإستراتيجية فسكنوا الساحل والصحراء (رشيد بورويبة وآخرون، 1993، صفحة 479).

واعتاد اليهود على التجمع في مناطق خاصة بهم في مختلف المدن ومن هذه الأماكن نجد الأسواق حيث انتشروا في أسواق المدن والحواضر الكبرى والأرياف حتى ارتبط اسمهم في كثير من الأحيان بهذه الأسواق فأطلق عليها سوق اليهود لكثرتهم فيها ورواج نشاطهم التجاري داخلها كتجار وباعة متجولين في الأسواق وداخل المدن والقرى (كواتي، 1990 – 1991، صفحة 150) .

شهدت العديد من السلع رواجا في المغرب الأوسط وكان لليهود دور كبير في ذلك، تنقل اليهود في ربوع المغرب الأوسط محملين بمختلف البضائع من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب وتعدت تجارتهم هذا القطر إلى بلدان المغرب الإسلامي وأوربا فكانوا بمثابة الوسيط التجاري بين الدول وساهموا في حركة الصادرات والواردات ويمكن أن نعرض أهم السلع التي تاجر لها اليهود :

2.3 تجارة الرقيق:

مثلت هذه التجارة رأس النشاط التجاري اليهودي خاصة وأن ديانتهم لا تمنع الاتجار بالبشر وتجعلهم عبيدا لليهود، ويعد المغرب الأوسط من المناطق التي شهدت تزايدا في أعداد الرقيق للحاجة لهم في القيام بكثير من الأعمال حتى صار هؤلاء العبيد طبقة من طبقات المجتمع تقع في أسفل الهرم الاجتماعي، وساعدت شساعة المساحة للمغرب الأوسط التي امتدت إلى بلاد السودان وهي مصدر جلب هته الفئة وتموين السوق، وقد تنوعت روافد الاسترقاق إلى الخصي حيث كان تجار اليهود يعملون على إخصاء الغلمان لتقوية أعدادهم (النصيبي، 1993، صفحة 112) .

واحتكر اليهود تجارة الرقيق مع نهاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي بإعادة بيع الأسرى أين يتم تسويقهم في مدن عدة ببلاد المغرب الإسلامي ومن بينها المغرب الأوسط رغم ما يتكبده التجار اليهود من عناء في هذه التجارة من تكاليف النقل وإجراءات الافتداء وغيرها (بوعمامة، 2011، صفحة 54) .

وتعتبر وارجلان من مراكز تجارة الرقيق ومنها تجلب وتسوق إلى مختلف المناطق وازدهر فيها هذا النوع من التجارة بسبب وقوعها على طرق القوافل التجارية بالإضافة إلى تراجع مدن أخرى كانت رائدة مثل نفوسة وغدامس وغيرها وساعدها في ذلك ارتباطها بمدن كبرى مثل

وقلعة حماد وتلمسان وقسنطينة التي اشتهرت بتجارة الرقيق فكانوا يبادلون أهل الصحراء بالزيت والحرير والمنسوجات مقابل التمر والعبيد (الوزان، 1983، صفحة 56) . الجدول(رقم01) يوضح التوزيع الجغرافي ومصادره المجلوبة إلى المغرب الأوسط:

القارة		التحديد	
أوربا		الروم ، الترك، الصقالبة.	
آسيا		مكة، المدينة، العراق، اليمن، أرمينيا، الهند	
إفريقيا		بلاد المغرب، السودان، النوبة، بلاد الزنج.	
الجنس والصنف	السعر	الزمن	مكان البيع
العبد الواحد	02أوقيتان	ق9هـ /15/	توات
الذكر	20دينار	ق7-9هـ /13-15م	تلمسان
الأنثى	25دينار	ق7-9هـ /13-15م	تلمسان
الخصي	40دينار	ق7-9هـ /13-15م	تلمسان
جملة من 500عبد	5000مثقال	ق10هـ /16م	من السوادن الغربي
عبد واحد	50مثقال	ق10هـ /16م	من السودان الغربي

(بوعمامة، 2011، صفحة 55)

أهم المراكز التجارية في المغرب الأوسط

عرف مجال التجارة نشاطا واسعا من طرف اليهود ليس داخل المغرب الأوسط فحسب، بل عبر مختلف أسواق ومراكز وطرق التجارة المعروف آنذاك خاصة منذ القرن الثالث هجري إلى غاية القرن الخامس هجري، واتخذ اليهود أماكن لهم لمزاولة نشاطهم التجاري وانتشروا في أسواق المدن والحواضر الكبرى والأرياف وارتبط بهم ما يعرف بسوق اليهود لكثرة نشاطهم فيه وضمت أسواقهم حوانيتهم التي مارسوا فيها مختلف حرفهم وبيع منتجاتهم، ومن بين المدن التي اشتهرت بأسواقها في المغرب الأوسط نجد :

1.4 تيهرت: تعتبر تيهرت عاصمة للدولة الرستمية(160-296هـ/ 777-909م) ومثلت قبلة للتجار نظرا للظروف التي وفرها الرستميون، فصارت مدنها عامرة مزدهرة مثل مدينة جادو ذات الأسواق الكثيرة واستقرار الجالية اليهودية بها (بحاز، 1993، صفحة 176)، وحوت تيهرت حوانيت وأسواق تحمل اسم اليهود ولشهرة التجار الرهادنة(انظر التعليق رقم4) بالمدينة فقد حملت أحد دروبها هذا الاسم (الرهادنة)، إذ كان لتجار تيهرت دور كبير لم يقتصر على التجارة الداخلية فحسب بل تعدى ذلك إلى خارج أسوار تيهرت إلى المشرق والأندلس (كواتي، 2009، صفحة 141)، ومن بين هؤلاء فئة عرفت بالراذانية، وكان لهم نشاط تجاري واسع فهم يسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق برا وبحرا يجلبون من المغرب الخدم والجواري والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسمور والسيوف يركبون من فرنجة في البحر الغربي يحملون تجارتهم على ظهورهم فمازالوا يتنقلون بها من سوق لآخر في الشرق والغرب والشمال والجنوب حتى يرجعوا إلى المغرب (بوعمامة، 2011، صفحة 202) .

2.4 تلمسان: تعد تلمسان عاصمة الزيانيين وحاضرة المغرب الإسلامي تتمتع بموقع استراتيجي هام وحلقت وصل بين المغربين الأقصى والأدنى بالإضافة إلى كونها مركزا تجاريا يفد إليها التجار من كل مكان بما فيهم اليهود، ووجودها في مركز شبكة بحرية وبرية بينها وبين موانئ مناطق المغرب، هذا وقد أشاد الجغرافيون بموقع مدينة تلمسان فاعتبرها البكري مكانا أساسيا في المغرب الأوسط وملتقى القوافل التجارية

القادمة من الشرق والغرب والصحراء، وذكر الإدريسي بأنها مفتاح إفريقية الغربية وممر المسافرين والتجار (عبدالله ا.، 1983، صفحة 101) وهو ما جعلها قبلة للتجار وأصحاب المال وبخاصة اليهود الذين لقوا التشجيع من السلطات الزيانية.

3.4 إقليم توات: لم يقتصر الأمر على مناطق الشمال والساحل إنما نجد المراكز امتدت إلى الجنوب من المغرب الأوسط وبالأخص إقليم توات ذو البعد الاستراتيجي، فهذه المنطقة عرفت نشاطا اقتصاديا واجتماعيا لافتا حتى عدت من مراكز المغرب الأوسط في العصر الوسيط ومنفذا إلى الغرب الإفريقي وقد استقطب الإقليم التجار خاصة من اليهود الذين أسسوا هناك قاعدة تجارية كبيرة مكنتهم من جمع أموال طائلة بالإضافة إلى النفوذ السياسي والاجتماعي حتى أن المصادر ذكرت ما يقارب ثلاثمائة وستين يهوديا في مجال صياغة الذهب والفضة في منطقة تمنطيط وحدها (جعفري، 2011، صفحة 389)، واشتهرت عديد الحرف والصنائع وشهدت الأسواق رواج مختلف السلع والبضائع البرانس والحياك التبغ والحناء الشعير وغيرها وما ميز توات أكثر وقوعها على طرق القوافل التجارية المتجهة من الشمال نحو السودان الغربي ومن توات إلى الشمال نحو الجزائر وتونس وحتى طرابلس (بلعالم، صفحة 45) .

المعاملات المالية لليهود

تشير الدراسات إلى حضور يهودي لافت في المغرب الأوسط في السوق المالية حيث أقاموا علاقات مع تجار المغرب الأوسط، ومنهم من تقلد مناصب هامة، ومنهم من أدار معاملاتهم المالية كالقرض بالعوض، والاشتراك بالمرابحة مع سيطرة على رأس المال، وتكوين للشركات المصرفية واحتكار البضائع النفيسة السهلة نقلها وتهريبها"، وكان الموقف من الصيارفة تحفظيا لأن معظمهم كانوا من غير المسلمين ولشبهة عملهم بالربا. (بوعمامة، 2011، الصفحات 129- 130) .

الجدول رقم(02) أسماء تجار موارقة كانت لهم علاقات ونشاط تجارية بين في المغرب الأوسط :

المدينة الأصلية	الاسم واللقب	الوظيفة/ المهمة التجارية	الإقامة بالمغرب الأوسط	السنة التي زاول بها النشاط
مايورقة	كسال	رب عمل وكاتب	مستغانم	1318م
مايورقة	مايسترو برنات	كاتب محضر	مستغانم	1318م
مايورقة	سالا برتّي	تاجر	مزغران	1319م
مايورقة	دسديه جيجو	رب عمل	مستغانم	1320م
مايورقة	بويز الأب	رب عمل	مستغانم- جزائر بني مزغنة	1321-1320م
مايورقة	تيانا	رب عمل	مستغانم	1327م
مايورقة	بنيت برنات	صاحب رأس مال	مستغانم- تلمسان	1330-1329م
مايورقة	كانت برنات	ساعي	مستغانم	1330-1329م
مايورقة	كبسبريه برنات	صاحب رأس مال	مستغانم- شرشال	1331-1330-1329م
مايورقة	ماروخ(و)(ن)برثماي	شريك كوكا	مستغانم	1330-1329م
مايورقة	أوليفار برنات	تاجر	مستغانم	1331م
مايورقة	ريوس جوم	تاجر	مستغانم	1331م
؟	التسر مينيخ	تاجر	مزغران	1319م
مايورقة	بولاكس املركس	تاجر	مزغران	1319م
مايورقة	استروك انتون	رب عمل وشريك	مزغران- مستغانم	1330-1327م
مايورقة	فزماتي ابراهام	تاجر	تنس	1330م
مايورقة	فزماتي ميمه	تاجر	تنس	1330م
مايورقة	مالكي سلومون	تاجر	مستغانم	1331م
مايورقة	ماصور اسحاق	تاجر	مزغران	1331م

(بوعمامة، 2011، صفحة 213)

1.5 الصيرفة:

هي إحدى المعاملات الاقتصادية التي تقضي المتاجرة بالعملة وترتبط بالأسواق وتتعلق بالذهب والتي شاعت وانتشرت في المغرب الأوسط وقد اشتهر بها اليهود، فغالبية الصيارفة كانوا من اليهود الذين سيطروا على هذا النوع من المعاملة لما تدره من أرباح كما عرفوا بمصطلح الجهابذة، كما اضطر تجار المغرب للتعامل مع التجار اليهود لسيطرتهم على هذا المجال (بوعمامة، 2011، صفحة 226) ففي تلمسان مثلا كانت هناك دكاكين خاصة لصرف العملات التي يحتاج إليها الناس في معاملاتهم، خاصة وأن هذا العهد نمت فيه التجارة وتطورت بفضل حكام الدولة الزيانية خاصة الذهب القادم عبر الصحراء وهدا ما هيأ لليهود البروز في هذا المجال حيث أقبلوا على تعاطي الصيرفة في عامة دول المغرب الإسلامي مما درَ عليهم أموالا طائلة.

واعتاد التجار إيداع أموالهم عند الصرافين ويأخذون بدلها رقاعا أو أوراقا عليها طابع أو ختم الصراف يسجل فيها الحد الأقصى الذي يستطيع التاجر أن يتعامل به وبهذه الرقاع يشتري ما يريد ويعطي البائع منها ما يساوي قيمتها ذهب، وكان الناس يفعلون ذلك من أجل تفادي الحمولة الزائدة للسلع أثناء تواجدهم في الأسواق وتجنب تعرضهم للصوص في زحمة الأسواق. وفي آخر مدة السوق يقوم التاجر بمحاسبة الصراف ويأخذ المتبقي له أو يدفع الزائد عليه وهذا ما يشبه "خطابات الضمان" إلا أن الحوالة على الصيارفة كانت طريقة للتعامل مكروهة عند فقهاء العصر لأنهم اعتبروها معاملة ربوية. (صديق، 2017-2018، الصفحات 226- 227).

وكان الصيارفة أغلبهم من اليهود ولا يستبعد أن يكونوا مسلفين للتجار وتكون بفوائد كبيرة تصل إلى نسبة 100 % وفي آجال قد تصل 10 سنوات ، وتشدد الفقهاء في التعامل مع اليهود في كل ما يتعلق بمثل هته المعاملات لأنه لا يقصدهم إلا الفسقة أو ذو الحاجة الشديدة (الونشريسي، 1981، صفحة 498).

ولا شك أن تلمسان كانت توجد بها دكاكين خاصة لصرف العملات التي يحتاجها الناس في معاملاتهم ولعب اليهود دورا مهما في هذه المعاملة الاقتصادية حيث أقبلوا على تعاطي الصيرفة في عامة المغرب الإسلامي ولا سيما الدولة الزيانية التي كانت قبلة تجار الذهب القادم من الصحراء .

2.5 السفاتج

استخدم أهل المغرب والأندلس السفاتج ضمانا لإتمام العمليات التجارية وتسهيلها وهي تعد من أهم الوسائل المضمونة من السرقة والضياع واستخدمت في المعاملات التجارية، وتعتبر السفتجات سندات مالية واجبة التحصيل في وقت معلوم ملزم بين الطرفين عند تحريرها، وقد برع اليهود في هذا النوع من التعامل بتحويل السفتجات إلى الغير عن طريق التوقيع بالتوكيل والتحويل على ظهر الورقة، وتقنية الخطاب المباشر منذ القرن الرابع الهجري تطور النظام على أساسين: الدفع نقدا وخطاب الضمان(الكمبيالة) يرجع أهمية هذا التعامل للتخفيف من مشقة نقل النقود من مكان لآخر وتفاديا لمخاطر الطريق .

استنكر فقهاء المغرب الأوسط السفتجة نظرا لشبهة الوقوع في الربا والغرر، سئل الونشريسي عن مسألة:" رجلان أحدهما له زرع بالعرب والآخر زرع بالجبل فهل تجوز لهما المناقلة في الزرع المذكور فيأخذ كل واحد منهما زرع الآخر دفعا للمشقة الحمل أم لا؟ وكان الجواب كالتالي: الجواب عن الثانية بالمنع من المناقلة على المشهور وهي المسألة الملقبة في المذهب بالسفاتج والمشهور في المذهب بمنعها (بصديق، البيوع والمعاملات التجارية في المغرب الأوسط، الصفحات 174 - 175) .

لا شك أن اليهود أسهموا في تنشيط الحركة التجارية داخل المغرب الأوسط عرفت الأسواق وفرة المواد التي كان يجلبها اليهود حتى من خارج المغرب كما أن الطرق التجارية صارت تشهد حركة بفضل القوافل التي جابت أرجاء المغرب ولم يتوقف الأمر عن المناطق الساحلية أو

المدن الكبرى بل تعدى ذلك إلى الصحراء ثم السودان الغربي عامة وهذا كان لليهود دور فيه وبطبيعة الحال تأثر النشاط الاقتصادي بالمعاملات التي يقوم بها اليهود فقد ظهرت هناك معاملات لقيت إنكارا شديدا وسط الفقهاء فمثلا شدد العقباني (ت871هـ) على ضرورة زجر وتأديب المتعاملين بالربا تأديبا غليظا واعتبر الربا من أشد المنكرات في الأسواق، كما أشار إلى كثرة التعامل بالربا في أسواق المغرب الأوسط ويؤكد ذلك قول العقباني:" قلت وقد كثر وقوع هذا المنكر الذي هو أخبث المناكر جهارا بين الناس بحيث لا يستخفي به أحد علمه أو جهله" (صديق، 2017-2018، صفحة 355).

إن من الانعكاسات السلبية التي نتجت عن النشاط اليهودي في المغرب الأوسط انتشار ظاهرة القرض الزمني (الكمبيالة) أو الكمبيو التي استخدمها المسلمون لاسترجاع الأسرى من الأراضي النصرانية بالرجوع إلى أرباب البنوك اليهودية خاصة أولئك الذين لهم علاقة مع الدول الأوربية، فهذا النظام يستدعي وجود اليهودي في تسهيل التعاون والتعامل ويبقى الفرد المغربي مجرد طرف في تحقيق الأغراض السياسية والاقتصادية (نميش، الحضور اليهودي بالمغرب الأوسط، صفحة 442).

خاتمة:

يتطرق البحث إلى أهل الذمة من اليهود الذي عاشوا الشمال الإفريقي قبل انتشار الإسلام، وبانتشار الإسلام الذي حفظ لأهل الذمة حقوقهم صاروا أحد طبقات المجتمع ومارسوا حياتهم الدينية والاقتصادية في ظل الدولة الإسلامية، وبعد سقوط الأندلس 1492 شهد المغرب الإسلامي هجرة كبيرة وكان اليهود ممن هاجروا باتجاهه، فعاش هؤلاء في الحقبة الزيانية وتمكنوا من فرض وجودهم خاصة في الجانب التجاري والمالي وقاموا بالسيطرة على المعاملات المالية وأداروا التجارة الخارجية ، وفي ختام البحث خلصت إلى مجموعة من النقاط وهي كالآتي:

- الإسلام كفل حقوق الذميين وأمكنهم من العيش بسلام في ربوع الدولة الإسلامية مما سمح بانصهارهم داخل المجتمع حيث صاروا حلقة وصل ومكونا من مكونات هذا المجتمع.
- التواجد اليهودي ببلاد المغرب مر عبر مراحل تحكمت في الأوضاع السياسية والاقتصادية بحيث لا يمكن تحديد تاريخ مضبوط لهجرات اليهود وإنما اقترنت بأحداث سياسية كالاضطهاد المسيحي والتهجير القسري لهم .
- تسامح المسلمين في بلاد المغرب جعل اليهود يتخذونه قبلة حيث توافدت أعداد كبيرة منهم واستقروا في مختلف المناطق وحسب حاجاتهم.
- برع اليهود في الجانب التجاري وهناك من يرى بأن اليهود في بدايتهم كانوا متطفلين على التجارة واقتصر نشاطهم في بداية الأمر كباعة متجولين .
- ساهم اليهود في تنشيط المعاملات التجارية وسوق المال من خلال عملهم كصيارفة وجعلهم يسيطرون على سوق العملة.
- بروز اليهود الاقتصادي من خلال قيامهم بدور الوسيط التجاري بين المغرب الأوسط وتجار الغرب الأوربي وساعدهم في ذلك إتقانهم لغات مختلفة إلى جانب العربية.
- لا يمكن التغافل على أن النشاط التجاري لليهود أدى إلى سيطرتهم على السوق وفرض منطقهم التجاري ومعاملات الربوية .
- تصدي العلماء لنشاط اليهود المتزايد وعلى رأسهم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي تفطن لمشروع اليهود في جنوب المغرب الأوسط.

المصادر والمراجع:

- البكري أبو عبيد، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**،**دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (د.ت)**.
- الحميري عبد المنعم،(1984)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**
- النصيبي ابن حوقل، (1968)، **صورة الأرض** ، ط2، مدينة ليدن: مطبعة بريل.
- الوزان حسن،(1983) ، **وصف إفريقيا، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي**.
- الونشريسي أبو العباس أحمد بن علي،(د.ت) **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية و الأندلس والمغرب** ،بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- بحاز ابراهيم بكر،(1992)، **الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والفكرية**،ط2، القرارة:جمعية التراث.
- بشير عبد الرحمن،(2001)، **اليهود في المغرب العربي**، طَ، مصر: عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية.
- بلعالم محمد باي،(د.ت)، **الرحلة العلية إلى منطقة توات**، الجزائر: دار هومه.
- بورويبة رشبد وآخرون،(د.ت)، **الجزائر في التاريخ**، المؤسسة الوطنية للكتاب.
- بوعمامة فاطمة، (2011) ، **اليهود في المغرب الإسلامي(خلال القرنين 7 – 9 هـ/ 13– 15م)**، الجزائر: كنوز الحكمة.
- جعفري احمد أبو الصافي،(2011)، **من تاريخ توات أبحاث في التراث**، ط1، الجزائر: منشورات الحضارة.
- ريه عطا عي محمد شحاتة،(1999)، **اليهود في بلاد المغرب الأقصى عهد المرينيين والوطاسيين**، ط1، سوريا: دار الكلمة للنشر والتوزيع.
- فيلالي عبد العزيز(2002)، **تلمسان في العهد الزياني** ، موفم للنشر والتوزيع.
- الصميدعي علي فليج عبدالله، (2013)، **أهل الذمة في المغرب الأقصى من الفتح إلى نهاية العهد الموحدي**،

بحث منشور في دورية علمية:

- حمزة عبد الصمد، **المجتمع اليهودي في العهد الزياني**، مجلة البحوث والدراسات العلمية، جامعة المدية.
- نميش سميرة،(2021)، **الحضور اليهودي بالمغرب الأوسط وانعكاساته الحضارية 7 – 9هـ/ 13– 16م "يهود الأندلس أنموذجا"** ، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مجلد 4، العدد 2.
- بصديق عبد الكريم، (2017-2018) ، **البيوع والمعاملات التجارية في المغرب الأوسط وأثرها على المجتمع ما بين القرنين (6– 9هـ/ 12– 15م)** ، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة وهران، الجزائر.
- كواتي مسعود، (1990– 1991)، **اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط الموحدين**، رسالة ماجستير منشورة، لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، الجزائر.

References :

-Abū ʻUbayd al-Bakrī al-Maghrib fī dhikr Ifrīqīyah wa-al-Maghrib, Dār al-Kitāb al-Islāmī, al-Qāhirah.
al-Ḥimyarī ʻAbd al-Munʻim al-Rawḍ almʻṭār fī khabar al-aqṭār.
- al-Naṣībī Ibn Ḥawqal(1968), Ṣūrat al-arḍ, ṭ2, Madīnat Līdin, Maṭbaʻat Brīl.
- al-Wazzān Ḥasan (1983), waṣf Ifrīqiyā, ṭ2, Bayrūt : Dār al-Gharb al'slā.
- al-Wansharīsī Abū al-ʻAbbās Aḥmad ibn ʻAlī (D, t), al-Miʻyār al-Muʻarrab wa-al-jāmiʻ al-Maghrib ʻan Fatāwá ʻulamāʼ Ifrīqīyah wa-al-Andalus wa-al-Maghrib, Bayrūt : Dār al-Gharb al-Islāmī.
- Baḥḥāz Ibrāhīm, (1992), al-dawlah al-Rustumīyah dirāsah fī al-Awḍāʻ al-iqtiṣādīyah wa-al-fikrīyah, ṭ2, al-Qarārah : Jamʻīyat al-Turāth.

- Bashīr ‘Abd-al-Raḥmān (2001), al-Yahūd fī al-Maghrib al-‘Arabī, Miṣr : ‘Ayn lil-Dirāsāt al-Insānīyah wa-al-Ijtimā‘īyah.
- Bal‘ālim Muḥammad Bāy, (D., t), al-Riḥlah al-‘Ilmīyah ilá minṭaqat Tuwāt, al-Jazā’ir : Dār Hūmah.
- Būruwaybah Rashīd w’ākhwn, (D, t), al-Jazā’ir fī al-tārīkh, al-Mu’assasah al-Waṭanīyah lil-Kitāb.
- Bw‘māmh Fāṭimah, (2011), al-Yahūd fī al-Maghrib al-Islāmī, (khilāl alqrnyn7-9h / 13-15m), al-Jazā’ir : Kunūz al-Ḥikmah.
- Ja‘farī Aḥmad Abū al-Ṣāfī, (2011), min Tārīkh Tuwāt Abḥāth wa-turāth, Ṭ1, al-Jazā’ir : Manshūrāt al-Ḥaḍārah.
- Rayyah ‘Aṭā ‘Alī Muḥammad Shiḥātah, (1999), al-Yahūd fī bilād al-Maghrib al-Aqṣá ‘ahd al-Marīnīyīn wa-al-Waṭṭāsīyīn, Ṭ1, Sūriyā : Dār al-Ḥikmah lil-Nashr wa-al-Tawzī‘.
- Fīlālī ‘Abd al-‘Azīz (2002), Tilimsān fī al-‘ahd al-Zayyānī, Mūfim lil-Nashr wa-al-Tawzī‘.
- al-Ṣumaydi‘ī ‘Alī flyj Allāh, (2013), ahl al-dhimmah fī al-Maghrib al-Aqṣá min al-Fatḥ ilá nihāyat al-‘ahd al-Muwaḥḥidī, baḥth manshūr fī dawrīyah ‘ilmīyah.
- Ḥamzah ‘Abd al-Ṣamad, al-mujtama‘ al-Yahūdī fī al-‘ahd al-Zayyānī, Majallat al-Buḥūth wa-al-Dirāsāt al-‘Ilmīyah, Jāmi‘at almdyh.
- Nmysh Samīrah, (2011), al-ḥuḍūr al-Yahūdī bi-al-Maghrib al-Awsaṭ wa-in‘ikāsātuhu al-ḥaḍārīyah 7-9h / 13-15m Yahūd al-Andalus anmūdhajan, Majallat al-‘ibar lil-Dirāsāt al-tārīkhīyah wa-al-atharīyah fī Shamāl Ifrīqiyā, mj4, ‘2,
-Bṣdyq ‘Abd al-Karīm, (2017-2018), al-buyū‘ wa-al-mu‘āmalāt al-Tijārīyah fī al-Maghrib al-Awsaṭ wa-atharuhā ‘alá al-mujtama‘ mā bayna al-qarnayn (6-9h / 12-15m), uṭrūḥat li-nayl shahādat al-duktūrāh fī al-tārīkh al-Wasīṭ, Jāmi‘at Wahrān, al-Jazā’ir.
- Kuwātī Mas‘ūd, (1990-1991), al-Yahūd fī al-Maghrib al-Islāmī min alqṭḥ ilá suqūṭ al-Muwaḥḥidīn, Risālat mājistīr, manshūrah, Jāmi‘at al-Jazā’ir, al-Jazā’ir.